حقيقة الدنيا ونسيان الآخرة

عندما تعيش مع واقعك وواقع الناس، فترى كيف أن الكثير من الناس قد انجرفت وراء الدنيا ونسيت الآخرة، فتراهم انشغلوا بالجوال في متابعة مواقع التواصل إلى درجة الإدمان، فهو يتابع الطبخ واللبس والأثاث والسيارات والأواني واللعب والرياضة والفن، ويتابع الجميلات والمقالب وبعضهم والعياذ بالله يتابع المواقع الإباحية الإفسادية، أو يتابع المشاهير نساءً ورجالاً صغارًا وكبارًا، حتى يدمن على هذه المواقع بشكل يورث الغرابة والاشمئزاز.

وقد أثَّر هذا على وضعه من دين الله عز وجل فلا يهمه دينه ولا تهمه الصلاة، ولا يحب سماع القرآن والحديث والذكر، ويجلس على مواقع التواصل الساعات ولا ينظر في المصحف الشريف إلا في الجمعة، وقد لا يراه إلا في رمضان؛ بل بعضهم حتى في رمضان؛ بل رأينا عزوفًا شديداً عن طلب العلم الشرعي، ولا تجلس مجلسًا من مجالسهم إلا وتسمع الحديث عن متابعات السناب والتيك توك ونحوها، والتفكير الشديد في كسب المال بأي طريق ولا تسمع أحداً يتحدث عن ذكر الله ولو ذُكِرَ الله لاشمأزت القلوب وضاقت النفوس وخرج البعض لا يريد ذكر الله. وأنت ترى الناس في وظائفهم وأعمالهم بل وفي مجالسهم

واستراحاتهم لا يذكرون الله بل شغلهم الشاغل الدنيا وما فيها وهنا تساءلت كم قيمة الدنيا عند هذه الفئة وكم قيمة الآخرة هو دائماً يذكر الدنيا ولا تسمعه يذكر الآخرة أبدا هو يذكر البشر دائما ولا تسمعه يذكر الله أبداً عالم بالدنيا عامل لها جاهل بالآخرة لا يذكرها أبدا ولا تجد لها في عنده اهتمام ولا حرص يجري وراء الدنيا ويلهث لها ولا تجده يسابق للصلاة ويهتم بها يسعى للكسب المادي ويتابعه وهذا حلال ولكنه أشغله عن الله وعن الدار الآخرة، وما درى المسكين عن حقيقة الدنيا، وقد قال الله عن الدنيا ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها، وأنها لا دوام لها، وغاية ما فيها لهو ولعب ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾.

أي الحياة الدائمة الحق التي لا زوال لها ولا انقضاء؛ بل هي مستمرة أبد الآباد.

وقال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.

قال ابن كثير: يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تنظر إلى ما هؤلاء المترفون وأشباههم ونظراؤهم فيه من النعيم، فإنما هو زهرة زائلة، ونعمة حائلة لنختبرهم بذلك وقليل من عبادي الشكور.

وقال مجاهد: (أزواجاً منهم) يعني الأغنياء، فقد آتاك خيراً مما آتاهم.

ويقول تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

وعن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بالسوق داخلاً من بعض العالية والناس كنفتيه فمرَّ بجدي أسكَّ ميّتٍ، فتناوله بأذنه ثم قال: (أيّكم يحب أن هذا له بدرهم؟). فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: (أتحبون أنه لكم؟.(قالوا: والله لو كان حيَّاً لكان عيباً فيه، لأنه أسكَّ، فكيف وهو ميّتٍ؟ فقال: والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم ". رواه مسلم.

•وعن الضّحاك بن سفيان رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: (يا ضحاك ما طعامك؟) قال: يا رسول الله، اللحم واللبن. قال: (ثم يصير إلى ماذا؟). قال: إلى ما قد علمت. قال: (فإن الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا). رواه أحمد.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن مطعم ابن آدم جعل مثلاً للدنيا، وإن قزحه وملحه، فانظر إلى ما يصير". رواه ابن حبان.

قزحه: وضع فيه التابل، وملحه: وضع الملح.

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل، كانت في النساء". رواه مسلم.

وعن عبد الله قال: نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثّر في جنبه، فقلت: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء، فقال: "مالي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها". رواه الترمذي.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها". رواه الترمذي.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء". رواه الترمذي.

وقال: "ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليّم فلينظر بما يرجع". رواه ابن أبي شيبة.

وقال: "إن الدنيا ملعونة ملعون من فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم". رواه ابن أبي شيبة.

وقال: "حقٌّ على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه". رواه أبو داود.

وقال: "الدنيا كلها متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة". رواه مسلم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر". رواه مسلم.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لست من الدنيا وليست مني، إني بُعثت والساعة تستبق". رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق.

نسأل الله عز وجل ألا يحرمنا الجنة؛ ولو كانت الدنيا تعدل عند الله شيئاً ذا قيمة لوهبها الصالحين من عباده؛ ولكنه عز وجل ادخر لهم كرامته كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أحب الله عز وجل عبداً حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي مريضه الماء". رواه الترمذي.

فإذا علم الموفق أن عباد الله الصالحين الذين يُحبهم قد أكرمهم بحجب الدنيا وزهرتها عنهم، ونزهم عن فتنتها وأخلصهم له ولعبادته وادّخر لهم كرامته عنده يوم يلقونه بقلوب مطمئنة ونفوسٍ راضيةٍ، بما قدره ربهم الرحيم بهم جلّت قدرته وتعالت حكمته؛ فكيف يأسى بعد

ذلك إنسانٌ عاقلٌ على ما يفوته من حطام الدنيا وزخارفها الزائلة عمّا قريب.

*** ***

الخطبة الثانية

يا عبد الله إذا كان عندك ما أعطى الله عز وجل نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً لا تراه شيئاً، وإنما تريد ما أعطى الله نمرود وفرعون وهامان فمتى تفلح.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا إن الدنيا قد ولت مدبرة، والآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من أراد الدنيا أضرّ بالآخرة، ومن أراد الآخرة أضرّ بالدنيا. الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له.

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: إياكم وما شغل من الدنيا، فإن الدنيا كثرة الأشغال، لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب. وقال: ابن آدم يستقل ماله، ولا يستقل عمله، يفرح بمصيبته في دينه، ويجزع من مصيبته في دنياه.

قال ابن عمر: يا ابن آدم صاحب الدنيا ببدنك، وفارقها بقلبك وهمك.

قال لقمان لابنه: يا بني، إن الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيه ناس كثير، فلتكن سفينتك فيه تقوى الله عز وجل، وحشوها الإيمان بالله تعالى، وشراعها التوكل على الله عز وجل، لعلك تنجو، وما أراك ناجياً.

قال الحسن البصري: من آثر دنياه على آخرته، فلا دنيا له ولا آخره.

بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً.

رحم الله أقواماً كانت الدنيا عندهم وديعة، فأدوها إلى من ائتمنها عليها، ثم راحوا خفافاً.

قال أبو سليمان الداراني: إذا سكنت الدنيا القلب ترحلت منه الآخرة.

قال ابن المبارك: زيادة آخرتكم لا تكون إلا بنقصان دنياكم، وزيادة دنياكم لا تكون إلا بنقص آخرتكم.

قال سفيان الثوري: من أحب الدنيا وسُرّ بها، نُزِعَ خوف الآخرة من قلبه.

قال أبو حازم: وما الدنيا! أما ما مضى فحلم، وأمّا ما بقي فأماني.

قال مالك بن دينار: اصطلحنا على حب الدنيا، فلا يأمر بعضنا بعضاً، ولا ينهى بعضنا بعضا، ولا يدعنا الله على هذا، فليت شعري

أي عذاب الله ينزل علينا؟ بقدر ما تحزن للدنيا، يخرج همّ الآخرة من قلبك، وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج همّ الدنيا من قلبك.

قال عبد الله الداري: الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، وإن الرغبة في الدنيا تكثر الهم والحزن. الدنيا بطنك فبقدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا.

وقالت الحكماء: إنما شبه تعالى الدنيا بالماء، لأن الماء لا يستقر في موضع، كذلك الدنيا لا تبقى على حال واحد، ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة كذلك الدنيا، ولأن الماء لا يبقى، ويذهب كذلك الدنيا تفنى، ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل، كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنتها وآفتها، ولأن الماء إذا كان بقدر كان نافعاً منبتاً، وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكاً، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع، وفضولها يضرّ.

قال العلامة ابن القيم: مثلت الدنيا بمنام، والعيش فيها بالحلم، والموت باليقظة.

ومثلت بمزرعة، والعمل فيها البذر، والحصاد يوم المعاد. ومُثلت: بحية ناعمة الملمس، حسنة اللون، وضربتها الموت. ومُثلت: بطعام مسموم، لذيذ الطعم، طيب الرائحة، من تناول منه قدر حاجته كان فيه شفاؤه، ومن زاد على حاجته كان فيه حتفه. ومثلت بامرأة من أقبح النساء قد

انتقبت على عينين فتنت بهما الناس، وهي تدعو الناس إلى منزلها فإذا أجابوها كشفت لهم عن منظرها وذبحتهم بسكاكينها، وألقتهم في الحفر، وقد سلطت على عشاقها تفعل بهم ذلك قديماً وحديثاً، والعجب أن عشاقها يرون إخوانهم صرعى قد حلت بهم الآفات، وهم يتنازعون في مصارعهم، ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم:٤٥].

ويكفي في تمثيلها ما مثلها الله في كتابه فهو المثل المطبق عليها. الناس في الدنيا معذبون على قدر هممهم بها.

فدع الدنيا لأهلها كما تركوا هم الآخرة لأهلها.

قال ابن بطال: زهرة الدنيا ينبغي لمن فُتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها، وشر فتنتها، فلا يطمئن إلى زخرفها، ولا ينافس غيره فيها.

قال الشيخ السعدي: حقيقة الدنيا: فإنها لعب ولهو، لعب في الأبدان، ولهو في القلوب، فالقلوب لها والهة، والنفوس لها عاشقة، والهموم فيها متعلقة، والاشتغال بها كلعب الصبيان.